الباب الأول

اليهود والعرب فى

ميزان أمريكا

نبذة تاريخية

بعد استقلال أمريكا من الاستعمار الإنجليزي عام ١٧٧٦ وجد الأمريكيون أنفسهم في عالم معاد لهم تهيمن عليه قوى الاستعمار الأوربية،فقدوا فيه المزايا التجارية التي كانوا يتمتعون بها عندما كانوا جزء من الإمبراطورية البريطانية، وكانت التجارة الخارجية ضرورية للحفاظ على بقاء الجمهورية الأمريكية الجديدة، لذا سعى الآباء المؤسسون للولايات المتحدة الأمريكية سعيا حثيثا للبحث عن أسواق جديدة وكان الشرق الأوسط الإسلامي من أولى الجهات التي قصدوها ففي مايو ١٧٨٤ بدأت أمريكا علاقاتها الدبلوماسية مع الشرق الأوسط عندما عين الكونجرس لجنة خاصة تتكون من بنيامين فرانكلين وجون أدامز وتوماس جيفرسون لإقامة علاقات تجارية والتفاوض مع إمارات المغرب العربي (المغرب والجزائر حاليا) وفي عام ١٧٨٦ وتحت ضغوط لوبي السفن التجارية الأمريكي توصل المبعوث الأمريكي لإمارات المغرب العربي إلى اتفاقية تجارة مع حاكم المغرب صدق عليها مجلس الشيوخ الأمريكي فور عرضها عليه في عام ١٧٨٧ كما أرسل رسالة شكر لحاكم المغرب لكن لم يحالف الأمريكيين حظا مماثلا في تفاوضهم مع حكام الجزائر وإمارات طرابلس وفي ذلك الوقت أراد جيفرسون وأدامز الشروع في بناء أسطول بحري أمريكي لحماية

تجارة أمريكا مع المغرب ولكن الكونجرس رفض منحهم الأموال الكافية حتى جاء عام ١٧٩٤ واندلعت الحرب بين فرنسا وبريطانيا، وانتشرت أخبار عن مصادرة بريطانيا لسفن أمريكية وعن زيادة تهديد الجزائريون للسفن الأمريكية لذا قرر الكونجرس في العام نفسه بناء ستة سفن لحماية تجارة أمريكا مع الشرق الأوسط واضعا نواة الأسطول الأمريكي الحالي، وبذلك كانت العلاقات الأمريكية العربية أحد الأسباب التي دفعت إلى تأسيس الأسطول الأمريكي وفي عام ١٧٩٥ توصل الأمريكيون إلى اتفاقية تجارية مع الجزائريين، وفي عام ١٧٠٦توصلوا لاتفاقية مع طرابلس، ومع تونس في عام ١٧٩٧وللأسف لم تمر العلاقات بدون مشاحنات إذ قامت حربا بين أمريكا وطرابلس في عام ١٨٠١والتي كانت أول حرب أعلنتها الجمهورية الأمريكية الجديدة لحماية مصالحها الوطنية،وبعد سلسلة مناوشات ومفاوضات استعاد الأمريكيون علاقتهم بطرابلس عام ١٨٠٥ومنذ ذلك الوقت وحتى عام ١٨١٦ واجهت أمريكا مشكلات مشابهة مع بقية دول المغرب العربي تخللتها بعض المواجهات المسلحة وانتهت بمعاهدات سلام.

ويقول توماس برايسون أن السياسية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط خلال تلك الفترة المبكرة من العلاقات الأمريكية العربية كانت محكومة

بشكل أساسي بمصالح أمريكا الوطنية المجردة والتي قادت أمريكا للانفتاح على أسواق الشرق الأوسط، وبناء أسطول وطني لحماية مصالحها، والدخول في حروب في بعض الأحيان كما أن أمريكا عاشت في تلك الفترة مرحلة تكوين واستقلال عن بريطانيا ليست سهلة ولكنها سارت بنجاح(١)،ومع بداية عام ١٨١٥ انتشرت في أمريكا مشاعر جديدة عبرت عن مرحلة جديدة في حياة الجمهورية الأمريكية الناشئة المستقلة وهي المشاعر الوطنية الأمريكية التي قادت أمريكا إلى مرحلة جديدة من مراحل علاقتها مع الشرق الأوسط ساعدت أمريكا ليس فقط على تعريف علاقتها نحو البلدان العربية والإسلامية فقط وإنما نحو العالم بشكل عام.(٢)

بدأ تأثير الولايات المتحدة ينمو في العالم العربي منذ بداية القرن العشرين، بعد ثورة صناعة السيارات والطائرات وبعد اكتشاف الحاجة لنفط الجزيرة العربية عقب الحرب العالمية الأولى التي ساهمت فيها أمريكا، ثم من خلال الامتداد الأمريكي إلى مناطق النفوذ البريطاني والفرنسي عقب الحرب العالمية الثانية أمّا التأثير الأمريكي الفعّال في

---

١)علاقات أمريكا الدبلوماسية بالشرق الأوسط –توماس برايسون ٢) المصدر نفسه

المنطقة فقد بدأ عملياً بعد انطلاقة الحرب الباردة بين موسكو وواشنطن، وتنافس المعسكرين على وراثة النفوذ الأوروبي الذي اضمحلّ نتيجة الحرب العالمية الثانية، وخصوصاً بعد حرب السويس وانتصار مصر عبد الناصر على العدوان الثلاثي وقد كان قيام كيان إسرائيل عام ١٩٤٨، وتسارع واشنطن وموسكو للاعتراف به، هو المحطة البارزة في تاريخ العلاقة بين أمريكا والبلدان العربية وكان الصراع العربي الصهيوني ولا يزال هو المحور الأساس فى العلاقات العربية الأمريكية وكانت حرب ١٩٦٧ ذروة التصعيد الأمريكي المباشر ضدّ العرب، حيث ساهمت آنذاك واشنطن في دعم العدوان الإسرائيلي بعد أن فشلت أمريكا في مرحلة ما قبل حرب ١٩٦٧ في ضغوطها السياسية والاقتصادية على مصر عبد الناصر وكانت مرحلة الرئيس جونسون أسوأ حقبة في تاريخ العلاقات الأمريكية العربية، ثم جاءت مرحلة الرئيس نيكسون الذي استطاع في صيف عام ١٩٧٠ من خلال مبادرة روجرز وقف إطلاق النار على جبهة قناة السويس التي شهدت على مدار سنتين حرب استنزافٍ قاسية للمحتلّين الإسرائيليين على الضفة الشرقية للقناة .

لكن القدر لم يسمح لجمال عبد الناصر أن يعيش طويلاً وأن يحصد ثمرة إعادة بنائه للقوات المسلحة المصرية، إضافة إلى سياسة التضامن العربي التي أرسى عبد الناصر قواعدها في قمّة الخرطوم عام ١٩٦٧ حيث دخلت المنطقة العربية كلّها في مرحلة جديدة من تضامن النفط

والمدفع لأجل تحرير الأراضي العربية المحتلة ورفض تحقيق الشروط الإسرائيلية للسلام مع العرب ثم جاءت مرحلة أنور السادات فحدثت حرب عام ١٩٧٣ على الأسس نفسها التي بناها ناصر في الإطارين المصري والعربي، وجرى خوض حرب عسكرية مدعومة بتضامنٍ عربيٍّ واسع خاصّةً من الدول العربية النفطية.

لكن لحظات التحوّل التاريخي في دور مصر بدأت بعد ذلك، حيث استثمر السادات الظروف وانتصر فى حرب ٧٣ ليقبل بما لم يقبله ناصر بعد هزيمة ١٩٦٧، أي الصلح والاعتراف والمفاوضات مع إسرائيل، وبشكلٍ منفرد ومستقل عن باقي الجبهات العربية وعن جوهر الصراع القضية الفلسطينية وارتضى السادات أن يكون الانسحاب من سيناء هو الثمن لتحويل مجرى الدور المصري في المنطقة العربية والعالم الثالث من موقع القيادة إلى حال السلامة عن طريق الانعزال وهي الجملة التي كان عبد الناصر يردّد في معظم خطبه بعد حرب ١٩٦٧ رفضه لها.

مقارنة بين العرب واليهود في أمريكا

هي مقارنة خاطئة تتكرّر أحياناً في الإعلام العربي والفكر السياسي العربي، وهي مقارنة حالة العرب في أمريكا بحالة اليهود الأمريكيين فالواقع أنّ العرب الأمريكيين هم حالة جديدة في أمريكا مختلفة تماماً عن الحالة اليهودية فالعرب جاءوا لأمريكا كمهاجرين حديثاً من أوطان

متعدّدة إلى وطن جديد، بينما اليهود في أمريكا هم مواطنون أمريكيون ساهموا فى إقامة كيان إسرائيلى في قلب المنطقة العربية، أي عكس الحالة العربية والإسلامية الأمريكية وما فيها من مشكلة ضعف الاندماج مع المجتمع الأمريكي.

حالة العرب في أمريكا مختلفة أيضا من حيث الأوضاع السياسية والاجتماعية، فكثيرٌ منهم أتوا مهاجرين لأسباب سياسية واقتصادية، وأحياناً أمنية تعيشها المنطقة العربية، ممّا يؤثر على نوع العلاقة بين العربي في أمريكا وبين المنطقة العربية بينما حالة العلاقة بين اليهود الأمريكيين وإسرائيل هي حالة من شارك في بناء هذه الدولة وليس المهاجر أو المهجّر منها.(١)

أيضاً، ليس هناك حالة تنافس موضوعي على المجتمع الأمريكي فليس هناك مؤسسات رسمية أو إعلامية أمريكية محايدة تتنافس عليها الجالية العربية مع الجالية اليهودية، وهذا بذاته يجعل المقارنة غير عادلة.

إنّ اللوبي الإسرائيلي في أمريكا يتعامل مع علاقة واحدة خاصة هي علاقة إسرائيل بأمريكا، بينما تتعامل المؤسسات العربية الأمريكية مع علاقات عربية متشعبة ومختلفة بين أكثر من عشرين دولة عربية وبين

---

١) عن مقال لصبحى غندور - بتصرف

الولايات المتحدة كما أنّ العرب الأمريكيين يتعاملون مع واقع عربي مجزّأ بينما يدافع اللوبي الإسرائيلي عن كيان واحد هو إسرائيل وللعرب الأمريكيين أزمة تحديد الهويّة ومشكلة ضعف التجربة السياسية، وهي مشكلة لا يعانيها اليهود الأمريكيون فلقد جاء العرب إلى أمريكا من أوطان متعددة ومن بلاد ما زالت الديمقراطية فيها تجربة محدودة، إضافة إلى آثار الصراعات المحلية في بلدان عربية على مسألة الهويّة العربية المشتركة ومن المهمّ التمييز بين حالاتٍ ثلاث مختلفة: فهناك أمريكيون عرب،وهم أبناء الجيل المهاجر الأول، وعرب أمريكيون وهم الأجيال التالية التي لم تذب تماماً بعد في المجتمع الأمريكي، لكنها مندمجة فيه بقوّة وتشارك في العمليات الانتخابية، وهناك عرب في الولايات المتحدة وهؤلاء لم يصبحوا مواطنين أمريكيين بعد وبينما نجد أغلب الأمريكيين العرب غير متصلين بالبلاد العربية الأم، نرى أنّ الفئة الثالثة غير متصلة بعمق مع المجتمع الأمريكي نفسه، ولكلٍّ من هذه الفئات نظرة مختلفة للحياة الأمريكية ولدورها في المجتمع وأضيف على ذلك أيضاً، تعدّد الانتماءات الدينية والطائفية في الجالية العربية فالبعض مثلاً يندفع نحو منظمات دينية وهو ما يستبعد نصف الجالية العربية فأكثرية الجالية العربية هي من جذور دينية مسيحية بينما أكثرية الجالية الإسلامية هي من أصول غير عربية إذنّ، كلّما كان هناك ظهور لفكر عربي سليم فيما يتعلق بمسألة الهوية تعزّزت معه إمكانات هذه الجالية

في أن تنجح عملياً وتتجاوز كثيراً من الثغرات والجالية العربية في أمريكا تعيش محنة ارتجاج وضعف في الهويتين العربية والأمريكية معاً فالمهاجرون العرب، أينما وُجدوا، ينتمون عملياً إلى هويتين هوية أوطانهم العربية الأصلية ثمّ هوية الوطن الجديد الذي هاجروا إليه وقد حدثت في السنوات الأخيرة، خاصّة عقب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، جملة تطوّرات انعكست سلبياً على الهويتين معاً ففي الحالة الأمريكية أصبح المواطن الأمريكي ذو الأصول العربية موضع تشكيك في هويته الأمريكية وفي مدى إخلاصه أو انتمائه للمجتمع الأمريكي وقد عانى الكثير من العرب في عدّة ولايات أمريكية من هذا الشعور السلبي لدى معظم الأمريكيين حيال كل ما يمتّ بصلة إلى العرب والعروبة والإسلام وترافق مع هذا التشكيك الأمريكي بضعف الهويّة الأمريكية للأمريكيين ذوي الأصول العربية، تشكّك ذاتي حدث ويحدث مع المهاجرين العرب في هويّتهم الأصلية العربية، ومحاولة الاستعاضة عنها بهويّات بعضها ذو طابع طائفي ومذهبي، وبعضها الآخر في أحسن الحالات إقليمي وإذا كان مردّ التشكيك الأمريكي بالهويّة الأمريكية للمهاجرين العرب هو الجهل، فإنّ سبب ما يحدث من تراجع وضعف في مسألة الهويّة العربية على الجانب الآخر هو طغيان سمات مجتمع الجاهلية على معظم المنطقة العربية، وانعكاس هذا الأمر على أبنائها في الداخل وفي الخارج وعلى الرغم مما تحقق للجالية العربية في الولايات المتحدة الأمريكية من

إنجازات في العقود الثلاثة الماضية وظهور العديد من المنظمات النشطة التي جعلت للعرب الأمريكيين صوتاً سياسياً يُسمَع، فإن عمل العرب الأمريكيين ما زال عاجزاً عن دخول أبواب الكونجرس المفتوحة لتحجيم اللوبي الإسرائيلي.

فنجاح اللوبي الإسرائيلي لا يعود سببه فقط إلى خبرة اليهود الأمريكيين بالعمل السياسي في أمريكا منذ نشأة الأمة الأمريكية، أو أنهم أكثر عطاءً بالتطوع والمال، فالعنصر المرجح لكفة اللوبي الإسرائيلي إنما سببه أن السياسة الأمريكية نفسها لم تكن طرفاً محايداً يتنافس عليه العرب من جهة وإسرائيل من جهة أخرى فأمريكا أسهمت منذ البداية في الاعتراف بالكيان الإسرائيلي وزودته وما زالت تزوده بكل إمكانات التفوق النوعي على الدول العربية ومن المهم، على الجانب الرسمي العربي، إعادة النظر فى مقولة أمريكا غير عادلة في المنطقة لأن اللوبي الإسرائيلي يتحكم في سياستها الخارجية بينما الواقع هو أن أمريكا لها مصالحها الخاصة الاستراتيجية في المنطقة، وقبل وجود إسرائيل وهي، أي أمريكا، استخدمت الوجود الإسرائيلي لتحقيق هذه المصالح الأمريكية مقابل مساعدات لإسرائيل فأمريكا كانت تحتاج لإسرائيل حيث لا تريد هي أن تكون مباشرة أي مفهوم الوكيل أو الأجير في قضايا محددة فتصاعد الدعم الأمريكي لإسرائيل ارتبط بتصاعد السيطرة الأمريكية على المنطقة بعد تقليص نفوذ الآخرين الحلفاء والأعداء.

الحكام العرب حلفاء أم أتباع لواشنطن

منذ أن عرفت شعوب العالم التدخل الدولي في شئونها عبر سلسلة طويلة من عمليات الاستعمار العسكري والاقتصادي لدولها، ومذ بدأت حركات التحرر العالمية نضالها ضد أنواع الاستعمار كان هناك اتفاق شبه كامل بين هذه الحركات على تحديد وجوه وصيغ وألوان المستعمرين أو الذين يسعون للتأثير في مسيرة شعوبهم نحو البناء والاستقرار وحق تقرير المصير واتخاذ القرارات، ولكن القوة الجديدة التي قدمت من أقصى العالم بوجوه براقة ومتنوعة (١)لم يستطع أحد أن يصنفها أو يحدد مآربها بوضوح نتيجة سببين رئيسيين، أولهما، لغة الخطاب السياسي التي اعتمدتها والتي اعتمدت بشكل بارز على موضوع حقوق الإنسان وحق الشعوب في تقرير مصيرها والثاني، كان يرتبط ببشاعة أساليب وطرق تعامل دول الاستعمار التقليدية آنذاك مع الشعوب المستعمرة، وهي المملكة المتحدة (التي لم تكن الشمس تغيب عن مستعمراتها) وفرنسا، وهولندا، وغيرها ولقد سوقت الولايات المتحدة

---

١) عن مقال د. فارس خطاب -منشور على موقعة على النت

نفسها لجميع دول العالم حتى المتقدمة منها آنذاك، ولعبت السينما وأفلام العالم الحر دورا كبيرا في الغزو الفكري لجميع شعوب العالم بالإضافة إلى نتاج فني هائل، وكذلك فعل ساسة الولايات المتحدة ، في حين كان ملايين الزنوج الأمريكيين يقتلون وتمارس مع الآخرين منهم أقسى وأبشع أشكال التمييز العنصري داخل الولايات المتحدة تحديدا.

أمريكا التي دخلت إلى قلوب شعوب العالم المقهورة عبر نوافذ الحرية والعدالة والتحرر لم تستطع ومن خلال ممارساتها العسكرية والأستخباراتية أن تبقي نفسها في ذات الصورة وسرعان ما عمدت ذات الشعوب إلى فتح أبوابها لإخراج نفوذ هذه الدولة المتعطشة للاستغلال منها، ولكن من يدخل من الشباك يستحيل أن يخرج من الباب، فهي، أي الولايات المتحدة، كالسرطان، يبدأ بخلية في مكان واحد ثم سرعان ما ينشطر لملايين الخلايا المتناثرة بعيدا عن الخلية الأم،هي كذلك بالضبط، تدخل من باب التنقيب عن النفط، فتلج لعالم السياسة، والبنوك، والمجالات الثقافية، ثم تشتري بعدها ذمم المسئولين وقادة الجيش في الدول التي تطأها لتتحكم بمقدراتها واستقرارها وأمنها الاقتصادي والسياسي ولقد استطاعت الولايات المتحدة أن تحصل على لقب لم يسبقها إليه أي محتل أو مستعمر طيلة التاريخ هو عدوة الشعوب، ولكم أن تتخيلوا هذه الكمية من الشر التي تحملها دولة بعينها ضد شعوب

العالم ليمنحها هذا اللقب، ولا أظن أن هذا اللقب مصطنع، أو موضوع من قبل الشيوعية أو من قبل منّظرين معادين للفكر الرأسمالي، لا فتصرفات أمريكا على الأرض هي التي منحتها هذا اللقب وبكل استحقاق، ولعل الأجيال التي عاصرت الستينات والسبعينات تحمل في ذاكرتها صورا مأساوية عن جرائم الولايات المتحدة في فيتنام وكمبوديا وكوريا ومن قبلها الاستخدام الوحشي لقدرتها النووية ضد اليابان، ودورها في تشيلي وكوبا ودول أمريكا اللاتينية، ثم تغلغلها إلى الجسد العربي عبر قناة النفط والاستثمارات الاقتصادية، وأخيرا الإعلانات الوهمية عن تفهمها لمعاناة العرب في موضوع الاغتصاب الصهيوني لأراضي فلسطين.

أما أبناء الجيل الحالي فقد تعرفوا على أمريكا كعدوه للشعوب من خلال هجومها اللا أخلاقي على أفغانستان والعراق وتدميرها شعبا ودولة وتاريخا وحضارة بهذا الشكل البشع ثم هاهي تقوم بأدوار تبدو وكأنها لمصلحة شعوب المنطقة فيما يسمى بالربيع العربي في حين تقع جميعها في حقل تدمير البنى الاجتماعية والعقائدية للأمة العربية تحت شعار مهلهل واحد الديمقراطية والغريب في أمر الولايات المتحدة أنها أوجدت لها شبكة من الحكام المرتبطين بها بصيغة التحالفات، وهذه التحالفات جعلت هؤلاء الحكام يظنون أنهم في مأمن من المعارضين لهم أو

المتربصين بهم، نتيجة دعم ورعاية هذه الدولة العظمى وقدرتها الخارقة على النفوذ الاستخباراتي ورسم الأحداث وتطورها بشكل يخدم بقاء الحكام من جهة واستمرار مصالحها من جهة أخرى، ورغم أن هذا الظن قد أجهضته الكثير من التجارب القاسية بدءا من تجربة شاه إيران وانتهاءاً بتجربة حسني مبارك، إلا أن الكثير من حكام الوطن العربي مازالوا يؤمنون بالتحالف مع أمريكا كسبيل للخلاص من أعدائهم الخارجيين ومن غضب شعوبهم، وهم بهذا العنوان باتوا يمارسون أدوارا فعلية في دعم ومشاركة الولايات المتحدة بعملياتها القذرة في الشرق الأوسط عموما ومنطقتنا العربية تحديدا.

وزير الدفاع الأمريكي السابق روبرت جيتس، وبعد أن نشر موقع ويكليكس مطلع العام الماضي مئات الوثائق الأمريكية المعبرة بوضوح عن النظرة الأمريكية المتدنية للحكام العرب الذين يظنون أنهم متحالفين معها، والتي كان يتوقع لها أن تسبب انتكاسة في العلاقات العربية-الأمريكية،جيتس خرج بعد نشر هذه الوثائق ليقول: نحن لدينا أتباع وليس حلفاء، وبالطبع من حق الحليف أن يغضب ويعلق تحالفه عندما يكتشف أن حليفه يضمر ما لا يعلن أما التابع فلن يبدي شيئا من هذا لأنه باختصار تابع والتبعية تكون دائما إما خوفا أو إيمانا بما يملكه المتبوع من قدرة خارقة لا يجاريه فيها أحد وبالتالي فهو ولي نعمته وحامي

مصالحه، ولعل مقارنة بسيطة وجلية بين علاقة الولايات المتحدة بإسرائيل وعلاقتها ببعض الدول العربية يظهر بوضوح الفرق بين التابع والحليف، ثم لننظر إلى الدور التركي وقدرة الحكومة على تحويل مكانتها لدى الولايات المتحدة من تابع إلى حليف سواء من خلال رفضها المشاركة في الحرب ضد العراق أو مواقفها من إسرائيل ونصرها الفعلي للقضية الفلسطينية وقدرتها على اتخاذ القرارات الخاصة بمصالح شعبها بغض النظر عن رضا واشنطن .

إن دول الخليج العربي هي من أكثر الدول العربية التي تعتقد أنها متحالفة مع الولايات المتحدة وهي في حقيقة الأمر تابعة لها، فمعظم عائدات النفط وهي عائدات هائلة تستخدم كاستثمارات في الولايات المتحدة، ورغم محاولة بعض دول الخليج تشجيع الأمريكيين على الاستثمار الحقيقي أو المالي في الخليج مثل عرض المملكة العربية السعودية لمحفظة استثمارية من ٢ تريليون للمستثمرين الأمريكيين من خلال مجلس العلاقات التجارية السعودي الأمريكي، إلا أنه لم يكن هناك أي إعلان عن استثمارات فعلية للمؤسسات والشركات الأمريكية في السعودية أو الخليج بصفة عامة، بل على العكس من ذلك فقد تخلصت بعض الشركات الأمريكية من استثماراتها في الخليج وخرجت من أسواقه ورغم التقارب الكوري والصيني مع دول الخليج العربي إلا أن التقنية

الأمريكية هي التقنية الرئيسية المستخدمة في جميع دول الخليج ولن يكون لأية دولة دور في اقتصاديات هذه الدول دون موافقة أمريكية مسبقة وأمنيا وهي الطامة الكبرى بالنسبة لدول الخليج، فجميع هذه الدول تعتقد أن الولايات المتحدة هي صمام الأمان لها أمام أية أطماع أجنبية خارجية أو داخلية، حتى على مستوى التقييم الأمني، لم تفلح دول الخليج في أن تقنع أمريكا بعداوتها الحقيقة، بل على العكس، قامت أمريكا بفرض قناعات العداوة لدى قيادات هذه الدول وبالتالي دفعها للمشاركة في درءها سواء بالسلاح أو بالمال أو كلاهما كما حدث في موضوع الاحتلال السوفييتي لأفغانستان ثم في موضوع الحشد الدولي لإخراج العراق من الكويت عام ١٩٩٠-١٩٩١، وبعدها دعم العمل العسكري الفعلي واللوجستي لاحتلال العراق، وأخيرا تدخلها المباشر وغير المباشر في عمليات عسكرية ضد أنظمة عربية قائمة (سوريا مثلا)، وهي فى مجملها أدوار تفضي إلى الاقتناع بأن كل ما يجري من دعم وإسناد ومشاركة لأنشطة الولايات المتحدة إنما هو من أتباع وليس حلفاء.

الصراع العربي – الإسرائيلي و العلاقات العربية الأمريكية

شهدت العلاقات العربية الأمريكية في المرحلة التي تلت أحداث سبتمبر ٢٠٠١ حالة انعدام ثقة، ويتساءل الكثيرون من المراقبين عن سر الانحياز الأمريكي شبه المطلق والأعمى لإسرائيل، فقد وقفت أمريكا على النقيض من كل بلدان العالم التي أدانت شارون وجرائمه في الأراضي الفلسطينية، حيث بررت سياسة شارون ودعمتها ووصل الحد بالسياسة الأمريكية أن اعتبر الرئيس الأمريكي شارون رجل سلام ٠

إن الإدارة الأمريكية لا تجهل سجل شارون ومجازره عبر نصف قرن ومع أن الإرهاب الإسرائيلي طال مصالح أمريكية عندما شجعت وزارة الدفاع الإسرائيلية بعض عملائها فى مصر على القيام بأعمال تخريب للمصالح الأمريكية من أجل الوقيعة وتخريب العلاقة بين الولايات المتحدة ومصر وعلى الرغم من انكشاف المخطط الإسرائيلي إلا أن الولايات المتحدة كافأت إسرائيل بمزيد من الدعم والأسلحة٠

إن المؤشرات القديمة تعود إلى الظهور ثانية ولكن بشكل أكبر وأوسع، فقد نشرت صحيفة واشنطن تايمز دراسة لأحد ضباط مركز الأبحاث في الجيش الأمريكي يؤكد فيها قدرة الموساد على استهداف قوات ومصالح أمريكية في منطقة الشرق الأوسط أو غيره، وجعل الأمر

يظهر وكأنه من صنع الفلسطينيين أو العرب المتطرفين ومن الملاحظ أن تاريخ هذه الدراسة جاء قبل يوم واحد من أحداث سبتمبر مما دعا ديفيد يوك وهو رئيس منظمة الحقوق والوحدة الأمريكية يتساءل كيف قتل في مبنى التجارة العالمي ١٩٩ شخصا من كولومبيا و٤٨٢ من الفلبين ولم يقتل من بين أربعة آلاف إسرائيلي يعملون في المبنى إلا واحدا فقط؟ وبالرغم من أنه لم تتوفر حتى الآن إجابة قاطعة عمن له مصلحة في تدمير مركز التجارة العالمي بمدينة نيويورك وتعطيل حركة أسواق الأموال العالمية لبعض الوقت، فقد اتجهت الإدارة الأمريكية كما أريد لها نحو العرب والمسلمين ومنذ نهاية الحرب الباردة طبقت الولايات المتحدة قواعد محددة في السياسة الدولية كلما تعذر تحقيق خططها الجيو استراتيجية والجيو اقتصادية وغيرها من الخطط، وذلك من خلال العمل عبر وسائل متعددة كاستخدام الأمم المتحدة أو عبر التحالف الدولي وأدى سعي الإدارة الأمريكية إلي النيل من الإرهاب إلى تكريس مبدأ الكيل بمكيالين في إقامة السياسة الدولية، فنجد أنها طالبت الحكومات العربية بالانضمام إلى التحالف لمكافحة الإرهاب لإثبات براءة هذه الحكومات من التهم الموجهة إليها، ومن جهة أخرى فإنها تعمل على تحويل مساهمة بعض الدول لتوفير الأمن للأمريكيين إلى فرصة لجني مكاسب اقتصادية وسياسية إن مثل هذا المبدأ الذي تتعامل به الإدارة الأمريكية يعمل على زيادة أسباب التوتر في العلاقات الدولية

وذلك لأنه يربط الاستقرار الاجتماعي والسياسي في الدول العربية بمدى خضوعها لمتطلبات الإدارة الأمريكية وباستخدام الرئيس بوش اصطلاح حملة صليبية خلال وصف الحرب الأمريكية ضد ما تعتبره إرهابا أعاد إلى أذهان الأجيال الجديدة في الدول العربية تاريخ الحملات الصليبية على الأمة العربية، فمنذ أن اعتمدت السياسة الأمريكية دبلوماسية البوارج الأمريكية ضد بلدان الخليج العربي أصبحت هذه العلاقات تتشكل دولياً دائماً تحت وطأة الصراع المسلح فالصيحات التي يطلقها صقور الإدارة الأمريكية لشن الحرب تعني أن النخبة الأمريكية تسعى جادة لإبقاء العلاقات بين الولايات المتحدة والعرب فى شكل صدام المصالح وكانت الاتهامات الأمريكية بوجود علاقات وثيقة بين النخبة الدينية والاقتصادية في السعودية وبين الجماعات الأصولية التي تنشأ في الخارج سبب توتر العلاقات بين السعودية والولايات المتحدة، وقد تزايدت هذه الانتقادات منذ الحادي عشر من سبتمبر في وسائل الإعلام، حيث أن الشعور السائد لدى الأمريكيين بأن حليفتهم السعودية قد خذلتهم وواشنطن عند إعلانها أن خمسة عشر من المتهمين بتنفيذ الهجمات هم من السعوديين تعمدت أن تعطي انطباعاً أن السعودية مسئولة بوجه ما عما حدث، مما أدى إلى انتقادات وضغوط على السعودية وأصبحت هدفاً للاتهامات، وذلك على الرغم من أن السعودية قامت بقطع علاقاتها مع طالبان، وأكدت منذ وقوع الحادث بأنها تقف مع

محاربة الإرهاب في سبيل تبديد ما تتهم به إلا أن هذه الإجراءات لم تؤد إلى نتائج إيجابية، فقد شنت وسائل الإعلام الأمريكية حملة واسعة ضد السعودية وفي محاولة من السعودية لدحض الاتهامات الأمريكية اختارت السعودية صحيفة نيويورك تايمز للإعلان عن مبادرة ولي العهد السعودي للسلام في الشرق الأوسط بهدف التنفيس عن مأزق الاتهامات باحتضان الإرهاب، كما أنها لجأت إلى مخاطبة الرأي العام الأمريكي من خلال حملة علاقات عامة اختارت لتنفيذها أكبر المؤسسات الأمريكية المتخصصة في محاولة منها لاستعادة الثقة، إلا أن الكثيرين يرون أن مثل هذه المبادرة لا يمكن أن تعيد العلاقات لسابق عهدها حيث أن السعودية اتجهت قبل سبتمبر إلى التقارب مع إيران التي تصنفها واشنطن ضمن محور الشر، إضافة إلى التعاطف السعودي مع العراق وفي استطلاع أجرته صحيفة واشنطن بوست وشبكة(ABC) حول اعتبار السعودية حليف أم عدو؟ أجاب ١٠ % بأنها حليف، واعتبر ١٤ % السعودية عدواً، بينما صنف ٥٤ % السعودية كصديق لا يرقى إلى درجة حليف.

إن الأسباب التي دفعت بالولايات المتحدة والعالم العربي إلى طريق التصادم؟ كان أخطرها أحداث الحادي عشر من سبتمبر ونتائجها المباشرة على العالمين الإسلامي والغربي، إذ دخلت الولايات المتحدة منذ

ذلك الوقت في حربين كبيرتين الأولى في أفغانستان والثانية في العراق، بالإضافة إلى حروب صغيرة في مناطق مختلفة في العالم ضد القاعدة ولقد دفع هذا الوضع العلاقة العربية الأمريكية إلى مأزق ، وهو ذات المأزق في العلاقة الإيرانية الأمريكية .

وهناك نظرة تبلورت في العالم العربي بأن السياسة الأمريكية في كل الأحيان تصب مباشرة فى مصلحة إسرائيل فقد نجحت إسرائيل على مدار عقود فى استخدام نفوذها في الولايات المتحدة لجلب الدعم لتوسعها و لاحتلالها لهذا فحتى اليوم تمثل المسألة الفلسطينية أحد أهم أسباب التصادم الأمريكي العربي والإسلامي الأمريكي لكن هناك قضايا أخرى لا بد من التعرف عليها تلقي الضوء على تاريخ الاختلاف بين الولايات المتحدة والعالم العربي ففي التاريخ دعمت الولايات المتحدة شاه إيران ضد مصدق، لكنها انتهت بثورة الخميني، ودعمت الولايات المتحدة إسرائيل ضد القومية العربية وعبد الناصر فانتهت بالحركات الأصولية، ودعمت المجاهدين الأفغان ومجموعات بن لادن فانتهت بطالبان والقاعدة، ودعمت الولايات المتحدة غزو إسرائيل للبنان عام ١٩٨٢ أو غضت النظر عنه والذي استهدف اجتثاث منظمة التحرير من لبنان فانتهت بحزب الله في جنوب لبنان كما أنها أعاقت وفق الرغبة الإسرائيلية حكومة الوحدة الوطنية الفلسطينية المنتخبة برئاسة حماس

فانتهى الأمر بسيطرة حماس على غزة فلائحة قصر النظر الأمريكية طويلة فالدولة الكبرى في العالم تتعامل مع السياسة في الشرق الأوسط انطلاقا من هموم وحسابات مباشرة تأتي من تأثير إسرائيلي ولقد ضاعت العلاقة العربية الأمريكية في حمى الحسابات الضيقة وانتهى بنا الأمر إلى صدام أكبر كما حدث في السنوات القليلة الماضية لكن أسباب المواجهة بين العالم العربي والولايات المتحدة في هذه المرحلة أخذت بعدا ثقافيا يضاف للبعد السياسي فهناك ثقافة رافضة للولايات المتحدة كمصدر للثقافة العالمية إذ أصبح الانقسام العربي العربي بين إسلامي وغير إسلامي وبين قومي وأقل قومية وبين مؤيد لحل الدولتين ورافض لحل الدولتين في فلسطين أحد مصادر الاختلاف حول التعامل مع الولايات المتحدة.

إن تغير العلاقة بين الولايات المتحدة والعالم الإسلامي يتطلب تغير قواعد اللعبة الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي وجوهر التغير يبدأ في فلسطين، فهي النقطة المركزية التي سببت القطيعة بين العالمين ووضعت الولايات المتحدة في كفة والعالم الإسلامي في كفة أخرى إن الرفض الإسلامي للولايات المتحدة ينطلق أساسا من الصراع العربي الإسرائيلي فهناك شعور قديم جديد في العالم الإسلامي بأن الولايات المتحدة ستؤيد إسرائيل مهما فعلت تجاه العرب إن هذا الجانب المؤثر

على العلاقة الأمريكية العربية بحاجة لحل حقيقي وصادق وإلا ازدادت العلاقة تأزما وتلونت بأبعاد يصعب التنبؤ بآثارها.

يتجسسون على أمريكا وهى تتجسس علينا؟

ان اليهود ذوى طبيعة تنطوى على انعدام الثقة فى كل ما ليس بيهودى حتى ولو كانوا أولياء نعمتهم الأمريكان لذلك لم يدخر اليهود وسعاً فى التجسس على أمريكا ومن مشاهير قصص التجسس المعروفة والمعلن عنها غير عشرات القصص التى لا نعلم عنها شيئاً قصة الجاسوس جوناثان بولارد؛ الجاسوس الإسرائيلي في وزارة البحرية الأمريكية الذي كلف الإدارة الأمريكية أكثر من بليون دولار لمعالجة الأسرار التي كشفها وقضية بن عامي كديش وهما اثنين من اليهود تم القبض عليهم ويكفى واحد فقط للتدليل على كون إسرائيل لا يهمها أمريكا ولا العرب ولا أى شئ فى الوجود إلا المال ومصالحهم فى انشاء دولتهم الكبرى

وتثير فضيحة القبض على المسئول السابق في البنتاجون ستيوارت ديفيد نوزيت ومثوله أمام المحكمة الفيدرالية بتهمة بيع معلومات فائقة السرية للكيان الإسرائيلي، العديد من التساؤلات المشروعة في صفوف الأمريكيين فهل الموساد أصبح أكثر وقاحة في عملياته داخل أمريكا

وهل يخرق المسئولون الإسرائيليون تعهداتهم باستمرار بعدم التجسس على حلفائهم في حين ترتفع أصوات أمريكية غاضبة تطالب بوضع حد لعمليات وفضائح التجسس الإسرائيلية المتواصلة ووقف محاولات التغاضي عنها وترتفع أصوات أمريكية مطالبة بوضع حد للنشاط التخريبي الإسرائيلي متسائلة هل تل أبيب حليف حقاً لواشنطن؟ أم أنها تستغل تواجد اليهود المكثف في جميع المفاصل الحساسة بأمريكا لمصالحها الخاصة والتي هي تخريبية بالتأكيد وخطر على أمن الولايات المتحدة وأسرارها الاستراتيجية ويبقى التساؤل مشروعاً وهو لماذا يفلت جواسيس اسرائيل في أمريكا من العقاب؟ .

فلماذا تتجسس إسرائيل على الولايات المتحدة؟ وهى أمها بالتبنى بعد شهر من الاعتراف الأمريكي الرسمي بإسرائيل كدولة كان الكيان الصهيوني يؤسس لأول شبكة تجسس داخل الولايات المتحدة، وذلك عندما نشط أول ملحق عسكري وهو أفرايم بن ارتزي في تشكيل مجلس لهذه الغاية ويتألف من أربعة أفراد هم بن ارتزي نفسه ودبلوماسي في بعثة الأمم المتحدة، وعميل محترف كان يتنقل بين تل أبيب ونيويورك إضافة إلى محام أمريكي، للحصول على أدق أسرار الولايات المتحدة العسكرية والتكنولوجية والاقتصادية، ومقايضة العالم عليها وكان الهدف الأول في ذلك الوقت هو الحصول على نموذج أولي لرادار أمريكي صغير متحرك للإنذار المبكر وشحنه إلى تشيكوسلوفاكيا مقابل

أسلحة ترسل إلى عصابات الهاجانا في إسرائيل .

بعد يونيو ١٩٤٨ وما أشيع عن التجسس الاسرائيلي على برامج الولايات المتحدة النووية الأمر الذي يدعو للتوقف طويلاً عند طبيعة العلاقة الأمريكية - الاسرائيلية، والسر الذي يدعو الإسرائيليين للتجسس على الأمريكيين فإسرائيل لا تتوانى عن خدمة مصالحها ولو كان على حساب حليفتها الرئيسية الولايات المتحدة فالحصول على المعلومات العسكرية والتكنولوجية الأمريكية المتقدمة عن طريق استخدام جواسيس - رغم أنها متاحة لإسرائيل- قد تستفيد منها لتطوير سلاحها خفية عن الولايات المتحدة ودون مقابل مادي، أو إعادة بيعها وتحويلها إلى دول أخرى، حتى إلى الولايات المتحدة نفسها، كما حصل في قضية الجاسوس دافيد تتنيوم في نهاية التسعينيات عندما أفشى معلومات سرية لإسرائيل، واعترف بأن هذه المعلومات تتضمن أسراراً تقنية لتطوير العربة المدرعة (براولي) لمقاومة الصواريخ وقد باعت إسرائيل هذا التطوير للولايات المتحدة بـ ١٤ مليون دولار دون أن تدري الأخيرة أنه مسروق منها أصلاً .

لكن تجسس إسرائيل على أقرب حليف لها لم ينته عند هذا الحد، حيث حاول الصهاينة وفي واقعتين منفصلتين كشف أسرار نووية وعسكرية في ولايتي تينيسي وجورجينا وتبين أن الصهاينة الذين حاولوا الاقتراب من المنشأة النووية في تينيسي وقاعدة لينجيز أن

البحرية في جورجيا يحملون بطاقات هوية عسكرية وأوراق أمريكية مزيفة وإذا كانت إسرائيل تستغل تواجد اليهود في جميع المفاصل الحساسة في الولايات المتحدة الأمريكية لتنفذ مصالحها الخاصة، والتي تكون تخريبية بالنسبة لأمن الولايات المتحدة وأسرارها الاستراتيجية، فيجب التساؤل هل العلاقات الأمريكية الإسرائيلية تكلف الكثير بالنسبة للولايات المتحدة؟ ولماذا هذا الإصرار الأعمى على حماية المصالح الإسرائيلية رغم عدم حرص الأخيرة على مصالح الدولة الراعية؟

لقد فعلت إسرائيل الكثير من هذا ولا تزال، ورغم الكشف عن العشرات من الجواسيس اليهود داخل الولايات المتحدة يعملون لصالح الصهاينة في إسرائيل والعبر التي يثيرها الكشف على الطابور الخامس الاسرائيلي في أمريكا يكشف حقيقة واضحة هى أن إسرائيل، لا تهتم سوى بمصالحها الخاصة، ولا يهمها سوى أن يكون الكيان الصهيوني أولاً وأخيراً ودائماً أبداً حسب عقيدة جهاز الموساد وهو أمر أكدته تجارب السنين الطويلة.

وفي أعقاب أحداث ١١ سبتمبر كان مئات العملاء الإسرائيليين يقومون باختراق مكاتب الإدارة الأمريكية حيث تم اعتقالهم وترحيلهم بهدوء ليس لأن جرائمهم ليست خطيرة ولكن لتجنب التصعيد مع المنظمات اليهودية في أمريكا وأولها أيباك وتجنب الصدام مع أعوان

إسرائيل في الكونجرس ويبدو أن المباحث الفيدرالية كان لديها أدلة على أن الموساد كانت على علم وبشكل مفصل بالهجوم على مركز التجارة العالمي في الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م لكنها لم تقدم أي معلومات للاستخبارات الأمريكية لتضليلها، الأمر الذي أثار شكوكاً أمريكية كثيرة حول دور إسرائيل في تلك المأساة التي أعقبتها حروب كثيرة على امتداد العالم الإسلامي من أفغانستان إلى باكستان والعراق كما نشرت صحيفة كريستيان ساينس مونتيور وثائق مسربة من قسم مكافحة التجسس بمكتب التحقيقات الفيدرالية أف بي آي تبين أن بداية التجسس الاسرائيلي على أمريكا تعود إلى عام ١٩٤٨م عندما عينت تل أبيب أول ملحق عسكري لها في واشنطن وفي السبعينات كان الكولونيل جوزيف لانجوتسكي من أشد الجواسيس الذين أرسلتهم إسرائيل إزعاجاً للولايات المتحدة حيث تنبه مكتب التحقيقات الفيدرالي بعد وقت قصير من تعيينه مساعداً للملحق العسكري في السفارة الاسرائيلية بواشنطن عام ١٩٧٦ إلى أنه تمكن من اختراق المناطق الحساسة المغلقة بالبنتاجون مرات عدة وحاول تجنيد موظفين هناك وعلى الرغم من عمليات استجواب مكثفة استمر عشرات العملاء الإسرائيليين السريين في عملهم نظراً لتمتعهم بحماية المحافظين الجدد والمنظمات الصهيونية وأصبحت بالتالي عملية تدفق المعلومات من الولايات المتحدة لإسرائيل بلا رقابة وبلا عقاب وضبط جهاز الأمن الاتحادي الأمريكي الجاسوس سيتورات

ديفيد نوزيت بتاريخ ٢٠٠٩/١٠/١٩م وهو مسئول سابق في البنتاجون وحائز على شهادة الدكتوراه وعمل في البيت الأبيض ووزارة الطاقة وقد سرب وثائق سرية تتعلق بالأسلحة النووية فضلاً عن وثائق عن وكالة ناسا التي عمل بها وهذا غيض من فيض عمليات التجسس التي تقوم بها أجهزة الموساد ضد أمريكا والتي تمر دون أي حساب أو حتى توتر في العلاقة بين واشنطن وتل أبيب بسبب النفوذ الإسرائيلي في البيت الأبيض والكونجرس والمجتمع الأمريكي عموماً رغم أنها تضر ضرراً بالغاً بالأمن القومي الأمريكي .

ما نريد أن نصل إليه هو أن إسرائيل تتجسس على أمريكا ليل نهار وتسرق منها التكنولوجيا وتطورها وتبيعها وقد يكون المشترى هو أمريكا نفسها وعلى النقيض نجد أمريكا تتجسس على كل شئ فى العالم العربى ولم تتورع أن تتجسس على المساجد فبعد الحادى عشر من سبتمبر كشفت وثائق حصلت عليها وكالة الأنباء المتحدة أن إدارة شرطة نيويورك قامت بالتجسس على ما يزيد على ٢٥٠ مسجدًا وجماعة طلابية مسلمة في محيط نيويورك من خلال رجال شرطة متنكرين وكشفت أن مكافحة الإرهاب خلال العقد الماضي شهدت وضع عدد ضخم من المسلمين الأبرياء تحت المراقبة الصارمة أثناء ممارستهم لحياتهم اليومية بالمساجد والأعمال التجارية والاجتماعية وعلى إثر نشر هذه الوثائق والتقرير الصحفي سارعت العديد من المنظمات الإسلامية

والمدنية وأعضاء بالكونجرس، بمطالبة وزارة العدل بالتحقيق في هذا الشأن، وارتكاب شرطة نيويورك لتفتيش عرقي مستهدف وخرق للحقوق ودعا المجلس الاسلامي في ولاية ميشيجان المدعي العام الأمريكي إلى التحقيق في مطالبة مكتب التحقيقات الفدرالي المصلين بالتجسس على القادة الإسلاميين والتجمعات الدينية وقال المجلس الإسلامي أنه بعث برسالة للمدعي العام أريك هولدر بهذا الشأن بعد ورود معلومات عن مراقبة المصلين وكذلك متابعة التبرعات التي تقدم للمساجد وأكد المجلس أن مخاوفه ازدادت بعد أن كشف مكتب التحقيقات الفيدرالي عن قيامه بزرع جاسوس في مسجد بكاليفورنيا وعملاء الولايات المتحدة أكثر من أن يحصوا وآخرهم الثلاث عشر الذين كانوا يعملون فى منظمات المجتمع المدنى الذين أفرجت عنهم مصر بلا سبب معلوم فانظر إلى الوضع الغريب إسرائيل تتجسس على ولية نعمتها لصالحها وأمريكا تتجسس على العرب لصالح إسرائيل فى بعَض الحيان أيضا وأشهر عملية تجسس من خلال الأقمار الصناعية تلك العملية التى أتاحت لإسرائيل اختراق الفجوة بين الجيشين المصريين الثانى والثالث فيما يعرف بثغرة الدفرسوار فى حرب ٧٣ والغريب أننا كعرب لا نتجسس على أمريكا بل من يتجسس منهم علينا نعفو عنه اذكروا عزام والثلاث عشر من منظمات المجتمع المدنى وغيرهم كثيرين.

العلاقات العربية- الأمريكية من منظور عربي

ثوابت العلاقات العربية ـ الأمريكية

هناك خصائص عامة للنظام الدولي ومنها أن نظام وستفاليا الذي نشأ في أوروبا في القرن السابع عشر قد أكد على حق السيادة الوطنية،(١)

وعلى أولوية الدولة القومية، ولا يزال هو الأساس الواقعي المرتجى للنظام الدولي، وأن النظام الدولي يقوم على تراتيب محكمة، إذ إن الشرائع الدولية تقول إن الدول متساوية، ثم إن المجتمع الدولي لا يزال كما وصفه هدلي بول مجتمعاً فوضوياً يفتقر بصورة مؤدية إلى آليات حل النزاع بصورة سلمية ومن خصائص النظام الدولي أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت ولا تزال قوة عظمى في العالم، وأن العلاقات العربية ـ الأمريكية لم تنقطع منذ بداية القرن الماضي، بل إنها تذهب إلى أبعد من ذلك، ثم إن العلاقات بين الطرفين استقرت ولأمد طويل على أجندة كان أبرز محاورها النفط العربي والصراع العربي ـ الإسرائيلي والمواقف تجاه التحديات الدولية، أي تلك التحديات التي كانت تواجه الأمريكيين، مثل التحدي السوفيتي أو تواجه العرب مثل التحدي الإسرائيلي، أو

---

١) عن مقال لرغيد كاظم صالح ـ بتصرف

تواجه الاثنين معاً والعلاقات العربية ـ الأمريكية لم تسر في خط مستقيم ولم تتطور باتجاه واحد فقط، بل تراوحت بين التحسن والتردي بحسب الظروف العامة التي حكمتها، فهذه العلاقات تحسنت كثيراً عندما عارضت إدارة دوايت أيزنهاور حرب السويس، ثم انتكست بعدها بسنة عندما أعلنت الإدارة نفسها مشروع أيزنهاور وتحسنت هذه العلاقات بصورة ملموسة خلال إدارة جون كنيدي في الستينيات لكي تتراجع بعدها خلال إدارة ليندون جونسون في نهاية الستينيات وبداية السبعينيات والمتغيرات الدولية تجسدت في ولادة نظام دولي جديد تقف على قمته الولايات المتحدة الأمريكية، حيث ولد هذا النظام الجديد من حطام الاتحاد السوفيتي في أعقاب الحرب الباردة ومن حطام العراق عقب حرب الخليج الثانية، أي في بداية تسعينيات القرن الماضي وتثير أحادية النظام العالمي الجديد ردود فعل دولية متباينة ومتضاربة في أوساط دولية متعددة، فهناك من يتطلع بتشاؤم إلى أي نظام عالمي أحادي تحكمه قوة واحدة والذين ينظرون إلى الوضع الدولي الجديد بهذا المنظور يرون أن الولايات المتحدة الأمريكية مثلها مثل أي قوة مهيمنة أخرى، استخدمت القوة والقهر ضد الأقطار الأخرى الضعيفة من أجل تحقيق أهدافها، وأنها في غياب ضوابط قوية سوف تمارس مثل هذه السياسة في المستقبل وبرزت تيارات تقلل من أهمية مخاوف احتكار الولايات المتحدة الأمريكية الزعامة العالمية، ومنها تيار يعتبر أن الولايات المتحدة الأمريكية تختلف

عن غيرها من القوى التي مارست الهيمنة في التاريخ ، من حيث أنها قوة مهيمنة عطوفة تسعى إلى خير المجتمع الدولي، وهناك تيار آخر يعتبر أن النظام الدولي الجديد نظام مركب يعصم القوة المهيمنة فيه من الشطط، وتيار ثالث متأثر بنظرية المؤرخ الأمريكي بول كنيدي حول صعود القوى العظمى وتراجعها، ويرى أن الزعامة الأمريكية تسير في خط انحداري وأنها لن تقوى على الاستمرار في موقعها العالمي الراهن وقد تأثرت الزعامة الأمريكية على النطاق الدولي ببعض الاعتبارات التي فرضتها عن استخدام القوة ضد الآخرين مثل الفلسفة الديمقراطية الليبرالية التي قام عليها النظام الأمريكي، وكذلك النهج المناهض للإمبريالية الذي أثر في السياسة الأمريكية الخارجية حتى الحرب العالمية الثانية، وأخيراً وليس آخراً مقتضيات الحفاظ على التوازن الدولي إبان الحرب الباردة كل ذلك جعل الولايات المتحدة الأمريكية تتردد أحياناً في استخدام القوة لحسم الصراع ضد أعدائها أو منافسيها إلا أنها، من جهة أخرى، لم تكن أقل قسوة وعنفاً في بعض الأحيان من القوى المهيمنة الأخرى في التاريخ، فهي الدولة الوحيدة في العالم التي استخدمت القنبلة الذرية في الحروب، كما أنها لم تتردد في التدخل المباشر أو غير المباشر في شئون الآخرين وفي قلب حكومات منتخبة بصورة شرعية مثل حكومة أليندي في تشيلي وعلى الصعيد الأمريكي فقد تمثلت المتغيرات الأمريكية في عودة اليمين الجمهوري إلي الحكم،

فقد فاز الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن في الانتخابات الرئاسية تحت شعارات اجتماعية وسياسية معتدلة، إلا أن الطاقم الحاكم الذي جاء به إلى الإدارة لا يعبر عن هذه الشعارات لا داخلياً ولا خارجياً، والاستثناء البارز بين الوزراء الذين جاء بهم جورج بوش إلي الحكم كان كولن باول الذي بدا الأقرب إلي الجناح الليبرالي في الحزب الجمهوري، ومع ذلك فإن باول تعرض إلى عملية تهميش داخل الإدارة بحيث إن مجلة التايم الأمريكية حملت صورة وزير الخارجية الأمريكية على غلافها مع عنوان أين اختفيت كولن باول ؟ وشكل وصول اليمين الجمهوري إلى سدة الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية انتصاراً لدعاة الانفراد في السياسة الدولية على دعاة التعدد إذ إن التعدديين الذين كانوا الأرجح نفوذاً في إدارة الرئيس بيل كلنتون يشتركون مع الأحاديين في إيثارهم العمل خارج مؤسسات الشرعية الدولية على العمل من خلالها، فهم يفضلون حماية مصالح الغرب وأمنه واستقراره عن طريق التكتلات الغربية مثل حلف الأطلسي، أو من خلال تحالفات وتجمعات طارئة ومؤقتة على غرار التكتل الدولي الذي تدخل في تيمور الشرقية،أي ذلك التكتل الذي اضطلعت به أستراليا بدور رئيسي وتشمل المتغيرات الأمريكية أيضاً الاعتماد الأمريكي المتزايد على النفط العربي، فالولايات المتحدة الأمريكية تستورد حالياً قرابة ٥٣ % من حاجاتها من النفط من الخارج، ولهذه الواردات النفطية أهمية بالغة لتأمين حاجات المواصلات

ولتشغيل حوالي ٢٠٠ مليون سيارة وشاحنة يملكها الأمريكيون فضلاً عن التطور النوعي في نفوذ الجماعات الصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية، فقد كانت هذه الجماعات تمارس نشاطها كجماعات ضغط، أي أنها كانت تسعى إلى ممارسة التأثير وهي تقف خارج البنيان الإداري والحكومي الأمريكي أما الآن فإنها باتت أقرب إلى أن تكون شريكاً في الحكم، شريكاً صغيراً ولكنها مع ذلك ذات حصة لا يستهان بها في صنع القرار وتنفيذه، خاصة عندما يتعلق الأمر بالمنطقة العربية ويكفي أن نذكر هنا الدور الذي اضطلع به خريجو اللوبي الصهيوني وخاصة أيباك في إدارة الرئيس الأمريكي السابق بيل كلنتون، ولقد أمسك هؤلاء مثل دنيس روس ومارتن آنديك، وآرون ميلر بزمام سياسة الولايات المتحدة الأمريكية الشرق أوسطية والعربية.

المصالح الإستراتيجية الأمريكية فى الشرق الأوسط

تاريخيا تشكلت وتشابكت المصالح الإستراتيجية الأمريكية فى الشرق الأوسط حول مجموعة من الأهداف شبه الثابتة، وأقرت وثيقة إستراتيجية الأمن القومى التى صدرت من البيت الأبيض فى شهر مايو ٢٠١٠ فى الجزء الخاص بالشرق الأوسط تحت عنوان تدعيم السلام والأمن والتعاون فى الشرق الأوسط الكبير هذه الأهداف، والتى كان من بينها:

-التعاون الواسع فى العديد من القضايا مع الحليف القريب، إسرائيل، وتأكيد الالتزام غير المحدود تجاه أمنها.

- استمرار تدفق النفط.

-العمل على حل صراع الشرق الأوسط بما يضمن قيام دولة فلسطينية مستقلة بجوار إسرائيل.

-التعاون فى مجال مواجهة الإرهاب.

-دفع إيران بعيدا عن السعى لاقتناء أسلحة نووية ودعم الإرهاب الدولى.

وتزدحم حاليا واشنطن بالعديد من الندوات والجلسات العلنية وغير العلنية للبحث فى مستقبل العلاقات الأمريكية العربية وتجرى هذه الأنشطة فى أروقة الإدارات المعنية بوزارة الخارجية والبيت الأبيض ووزارة الدفاع، إضافة لعدد من الجامعات الأمريكية المرموقة، ومراكز الأبحاث المهمة ومحور كل هذا النقاش ينصب على بحث ما يجب على الولايات المتحدة القيام به فى هذه الفترة الحرجة، وهل يجب أن تتبنى واشنطن سياسة واحدة تتبعها مع كل الأنظمة، أم أنها يجب أن تتبع سياسة خاصة مع كل دولة بصورة منفصلة.